

﴿فليس الله باحكم الحاكمين﴾ وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله. وعن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأها قال: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين⁽²⁾. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والتين أعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا، وإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة»⁽³⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة العلق مكية

عن ابن عباس ومجاهد: هي أول سورة نزلت. وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم.

أَفْرَأَى إِسْمَ رَبِّكَ الَّذِي عَلَّمَ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٦

محل ﴿باسم ربك﴾ النصب على الحال، أي: اقرأ مفتتحاً باسم ربك، قل بسم الله ثم اقرأ.

فإن قُلْتَ: كيف قال: ﴿خلق﴾ فلم ينكر له مفعولاً. ثم قال: ﴿خلق الإنسان﴾؟ قُلْتَ: هو على وجهين: إما أن لا يقدر له مفعول وأن يراد أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه، وإما أن يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لأنه مطلق فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض. وقوله: ﴿خلق الإنسان﴾ تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناول الخلق لأن التنزيل إليه وهو أشرف ما على الأرض. ويجوز أن يراد الذي خلق الإنسان، كما قال: ﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان﴾⁽⁴⁾ فليل الذي خلق مبهماً، ثم فسره بقوله خلق الإنسان تفخيماً لخلق الإنسان ودلالة على عجيبة فطرته.

فإن قُلْتَ: لم قال: ﴿من علق﴾ على الجمع، وإنما خلق من علقه. كقوله: ﴿من نطفة﴾⁽⁵⁾ ثم من علقه؟ قُلْتَ: لأن الإنسان في معنى الجمع. كقوله: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾⁽⁶⁾.

أَفْرَأَى رَبَّكَ أَكْبَرُ ۝ ٧

﴿الأكبر﴾ الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي وإطراحهم الأوامر، ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم. فما لكرمه غاية ولا أمد وكانه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال: الأكبر.

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم ۝ ٨

﴿في لحسن تقويم﴾ في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه.

ثُمَّ رَدَدْتَهُ أَتْفَلًا سَابِلِينَ ۝ ٩

ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمته تلك الخلقة الحسنة القويمة لسوية أن رددناه أسفل من سفلى خلقاً وتركيباً، يعني: أقبح من قبيح صورة وأشوهه خلقاً وهم أصحاب النار، أو أسفل من سفلى من أهل الدركات، أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفلى. وحسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله، وأبيض شعره بعد سواده، وتشين جلده وكان بضاً، وكل سمعه وبصره وكانا حديدين، وتغير كل شيء منه فمشيه لليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف. وقرأ عبد الله: أسفل السافلين.

فإن قُلْتَ: فكيف الاستثناء على المذهبيين؟ قُلْتَ: هو على الأول متصل ظاهر الاتصال، وعلى الثاني منقطع.

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَرَهُوا الضَّلِيلَةَ ۝ فَهُمْ أَجْرٌ عَرَبٌ مَتْرُونٌ ۝ ١٠

يعني: ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمي فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيوخة والهرم، وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخالذ نهوضهم.

فإن قُلْتَ:

فَمَا يَكْفُرُكَ بَدًّا بِإِيَابٍ ۝ ١١

﴿فما يكذبك﴾ من المخاطب به؟ قُلْتَ: هو خطاب للإنسان على طريقة الالتفات. أي: فما يجعلك كاذباً بسبب الدين وإنكاره بعد هذا البليل. يعني: أنك تكذب إذا كذبت بالجزاء لأن كل مكذب بالحق فهو كاذب، فأي شيء يضطرك إلى أن تكون كاذباً بسبب تكذيب الجزاء. والباء مثلها في قوله تعالى: ﴿الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾⁽¹⁾ والمعنى: أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشراً سويلاً وتدرجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي، ثم تنكسه إلى أن يبلغ أرذل العمر. لا ترى ليللاً أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر من الإنسان على هذا كله لم يعجز عن إعادته، فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بالجزاء بعد هذا البليل القاطع. وقيل: الخطاب لرسول الله ﷺ.

أَيَسَّ اللَّهُ يَأْتِكُمْ لَمَكِينًا ۝ ١٢

(4) سورة الرحمن، الآيات: 1 - 3.

(5) سورة النمل، الآية: 4.

(6) سورة العصر، الآية: 2.

(1) سورة النمل، الآية: 100.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک 510/2.

(3) نكره الثعلبي والواحدي، وابن مريويه، زيلعي 243/4.

أَرَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾

وكنلك إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن.

أَرَيْتَ بِأَنَّ اللَّهَ بَرَى ﴿١٤﴾

﴿الم يعلم بأن الله يرى﴾ ويطلع على أحواله من هداة وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد.

فإن قُلْتَ: ما متعلق أرايت؟ قُلْتَ: الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين.

فإن قُلْتَ: فأين جواب الشرط؟ قُلْتَ: هو محذوف تقديره إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وإنما حذف لدلالة نكرة في جواب الشرط الثاني.

فإن قُلْتَ: فكيف صح أن يكون ألم يعلم جواباً للشرط؟ قُلْتَ: كما صح في قولك: إن أكرمك أكرمكني. وإن أحسن إليك زيد هل تحسن إليه؟

فإن قُلْتَ: فما أرايت الثانية وتوسطها بين مفعول أرايت! قُلْتَ: هي زائدة مكررة للتوكيد. وعن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة.

كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ بِأَنَّيَايَةِ ﴿١٥﴾

﴿كلا﴾ ردع لأبي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله تعالى وأمره بعبادة اللات. ثم قال: ﴿لئن لم ينته﴾ عما هو فيه ﴿لنسفعا بالناصية﴾ لناخذن بناصيته ولنسحبنا بها إلى النار. والسفع: القبض على الشيء وجنبه بشدة. قال عمرو بن معدي كرب:

قوم إذا وقع الصريخ رأيتهم من بين ملجم مهره أو سافع وقرى: لنسفن بالنون المشددة. وقرأ ابن مسعود: لأسفعا. وكتبها في المصحف بالالف على حكم الوقف ولما علم أنها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الإضافة.

نَاصِيَةٍ كُذِّبَتْ بِهَايَتِي ﴿١٦﴾

﴿ناصية﴾ بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لأنها وصفت فاستقلت بفائدة. وقرى: ناصية على هي ناصية، وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم. ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها، وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاتب خاطيء.

فَلْيَعْبُدُوايَتِي ﴿١٧﴾

والنادي المجلس الذي ينتدى فيه القوم، أي: يجتمعون، والمراد أهل النادي. كما قال جرير:

﴿الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾ فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، وبثه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو، وما نونت العلوم ولا قبيت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزل إلا بالكتابة، ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على نقيق حكمة الله ولطيف تبديره لليل إلا أمر القلم والخط ليكفي به. ولبعضهم في صفة القلم:

ورواقم⁽¹⁾ رفش كمثل أراقم تطف الخطا نباله أقصى المدى سواد القوائم ما يجد مسيرها إلا إذا لعبت بها بيض المدى وقرأ ابن الزبير: علم الخط بالقلم.

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا ﴿١٨﴾

﴿كلا﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وإن لم ينكر لدلالة الكلام عليه.

أَنْ يَأْتِيَ بِسَفْعٍ مِّنْهُنَّ ﴿١٩﴾

﴿أن رأه﴾ أن رأى نفسه. يقال في أفعال القلوب: رأيتني وعلمتني، وذلك بعض خصائصها، ومعنى الرؤية العلم، ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الصميرين و﴿استغنى﴾ هو المفعول الثاني.

إِنَّ لِرَبِّكَ أَرْجُونَ ﴿٢٠﴾

﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ واقع على طريقة الالتفات إلى الإنسان تهديداً له وتحذيراً من عقابته الطغيان، والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع. وقيل: نزلت في أبي جهل.

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٢١﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿٢٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْاَلْتَدَى ﴿٢٣﴾ أَوْ أَمَرَ بِالْتَقْوَى ﴿٢٤﴾

وكذلك ﴿أرايت الذي ينهى﴾ وروى أنه قال لرسول الله ﷺ: أتزعم أن من استغنى طفى فاجعل لنا جبال مكة فضة ذهباً لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع بيننا ونتبع دينك. فنزل جبريل فقال: إن شئت فعلنا ذلك ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة. فكف رسول الله ﷺ عن الدعاء إبقاء عليهم⁽²⁾. وروي عنه لعنه الله أنه قال: هل يغفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فالذي يحلف به لئن رأيت توطأت عنقه. فجاءه ثم نكص على عقبيه. فقالوا له: مالك يا أبا الحكم؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة فنزلت: ﴿أرايت الذي ينهى﴾ ومعناه: أخبرني عن من ينهى بعض عباده الله عن صلته إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله، أو كان أمراً بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد.

(2) قال الزيلعي: لم أجده. وقال ابن حجر: وأخره تقدم في الإسراء بغير هذا السياق.

(1) رواقم: من الرَّمم أي الكتابة. أراقم جمع رقم، وهي الحية التي على ظهرها نقش.

الداعي إلى إخفائها أن يحيي من يريد لها الليالي الكثيرة طلباً لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه، وأن لا يتكل الناس عند إظهارها على إصابة الفضل فيها فيفطروا في غيرها. ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها. من قوله تعالى: ﴿فِيهَا يَفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾⁽⁶⁾ وقيل: سميت بذلك لخطرها وشرورها على سائر الليالي.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٦﴾

﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ يعني: ولم تبلغ درايك غاية فضلها ومنتهاى علو قدرها.

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٧﴾

ثم بيّن ذلك بانها خير من ألف شهر، وسبب ارتقاء فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي نكرها من تنزل الملائكة والروح، وفصل كل أمر حكيم ونكر في تخصيص هذه المدة أن رسول الله ﷺ نكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي⁽⁷⁾. وقيل: إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر، فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد.

نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٨﴾

﴿تنزل﴾ إلى السماء الدنيا. وقيل: إلى الأرض، ﴿والروح﴾ جبريل. وقيل: خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة. ﴿من كل أمر﴾ أي: تنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل. وقرئ: من كل امرئ؛ أي: من أجل كل إنسان. قيل: لا يلقون مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلموا عليه في تلك الليلة.

سَلَّمَ مِنْ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

﴿سلام هي﴾ ما هي إلا سلامة. أي: لا يقدر الله فيها إلا السلامة والخير، ويقضي في غيرها بلاء وسلامة، أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين. وقرئ: مطلع بفتح اللام وكسرها. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر»⁽⁸⁾.

لهم مجلس صهب السبال أئمة

وقال زهير:

وفيهم مقامات حسان وجوهم

والمقامة: المجلس. روي أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ وهو يصلي فقال: ألم أنك. فأغلظ له رسول الله ﷺ فقال: أتهدنني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً فنزلت⁽¹⁾. وقرأ ابن أبي عملة: سيدعى الزبانية على البناء للمفعول.

سَعَى الزَّبَانِيَةُ ﴿٨﴾

والزبانية في كلام العرب: الشرط. الواحد: زبانية كعفوية من الزبن وهو النفع. وقيل: زبني وكأنه نسب إلى الزبن ثم غير للنسب كقولهم: إمسى وأصله زباني. فقيل: زبانية على التعويض، والمراد ملائكة العذاب. وعن النبي ﷺ: «لو دعا نايه لأخذته الزبانية عياناً»⁽²⁾.

كَلَّا لَا تُلْمَعُوهُ أَنَسِدٌ وَأَنزَبٌ ﴿٩﴾

﴿كلا﴾ ردع لابي جهل ﴿لا تطعه﴾ أي: اثبت على ما انت عليه من عصيانه. كقوله: ﴿فلا تطع المكذبين﴾⁽³⁾ ﴿واسجد﴾ دم على سجودك يريد الصلاة، ﴿واقترب﴾ وتقرب إلى ربك. وفي الحديث أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد⁽⁴⁾ عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله»⁽⁵⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة القدر مختلف فيها

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾

عظم القرآن من ثلاثة أوجه: أحدها أن أسند إنزاله إليه وجعله مختصاً به بون غيره، والثاني أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبية عليه، والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه. روي أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه جبريل على السفرة، ثم كان ينزله على رسول الله ﷺ نجومًا في ثلاث وعشرين سنة. وعن الشعبي: المعنى: إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر. واختلفوا في وقتها فأكثروهم على أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها، وأكثر القول أنها السابعة منها. ولعل

(1) أخرجه الترمذي في كتاب: التفسير، باب: ومن سورة ﴿اقرأ﴾ (الحديث رقم: 3349).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير ومن سورة: واقراء، باب: ﴿كلا﴾ لئن لم ينته (الحديث رقم: 4958).

(3) سورة القلم، الآية: 8.

(4) أخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع...=

= (الحديث رقم: 215 - 482).

(5) نكره الثعلبي في تفسيره وابن مردويه والواحدي، زيلعي 4/ 249 - 250.

(6) سورة اللخان، الآية: 4.

(7) نكره الواحدي في أسباب النزول، ص 255.

(8) نكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي، زيلعي 4/ 253 - 254.